كـانـون سـالـم

لم يحل الشتاء إلا منذ أيام مضت، انخفضت درجة الحرارة سريعاً، بدأ سالمٌ يرتجف، فجسمه هزيل، لا يطيق البرد، ولا يتلذذ بصوت المطر، وهو يكره كلّ من يدعو الله أن يمنّ على النّاس بالثلج؛ لأنه في العام الماضي ثعثّر أمام السّقيفة وكُسرت رجله عندما أرد أن يثبت لزوجته انه مازال قوياً، ولا يخاف من المشي في الليل، والذئاب تعوي في منتصفه، وقف أمام بيته؛ ليمنع أي هجوم محتمل على الأغنام، فسلمت الأغنام، وكسرت رجله هكذا ظلّ يقول لزوجته طوال عام كامل...

جاء الشّتاء باكراً هذه السنة، ولكنّه استعدّ له بشكلٍ كبيرٍ ، فقد حضّر لزوجته أم شادي كومةً كبيرةً من خشب الزّيتون الذي أحضره من أرضه، وعندما سألتُه:

-كيف استعدادك للشتا يا خالي؟

أجاب بصوت الواثق:

-مثل الجندي النّشيط: الرَكمة إمستّفي، والكانون جديد، والحطب يا رويكب، ورجلي طابت...هذي المرّة بقول: بطلت زعلان

مــن الشــتا، أهــلاً بالشّــتا، خليهــا تمطــر واتــزخ زي مــا بــدها.

-الله يقويك يا خالي سالم.. ويجعلها سنة خير علينا.

وعند العصر، بدأ الرعد يزمجر، والسّماء تبرق... صاح:

-هاتي الكانون يا أم شادي، وكبّي السّكن إلّي فيه.

أشعل فيه النّار، وقال بصوت عالٍ:

-حطـي حطـب بزيـادة يـا مـره،الخير وجـاد، وبـاين عليهـا سـقعه بتقص المسمار، وهاتي كُفّة جفت من جوا.

-يا زلمي شو الدّعوه؟ الشتويه لسّه بأولوها، وخلي الحطب للعازة، بدك انصير نشحد من الجيران؟.

وما أن بدأت النّار بالاشتعال، حتى بدأ الهواء بالازدياد

صاح خالي سالم:

-الحقـي يـا امرملـي، الكـازة وقعـت، والنّـار خربـت، هـاتي حجـار إنركّز الكانون، بدأت الأمطار تنهمر وبدأت النّار تخمد في الكانون.

وقال لي: زم معاي يا خالي الجفت، خلينا نعبر الكانون جوا.

حملـه وأدخلـه إلى السـقيفة، فتعـافى مـن خطـر الانطفـاء، وصـرت أغني بعفوية للمطر:

أمطري وزيدي.....على قرعة سيدي

سيدي في البيارة....بوكل في خياره

أمطري وزيدي.....بيتنا حديدي

عمنا عبدالله.....كسر الجرّه...

استنا يا خالي انشوف شو صار بالمخسّفي هذول النارات، ما انته شايف بطلت أشوف قدّامي، إنعميت من الدخني ، نط غاد حط عليهن شوية كاز، خليهن يدقين.

قفزت مسرعاً إلى الكاز، رغم الدخان الذي يملأ المكان، وسكبته على الكانون، اشتعلت النّيران من جديد ارتفعت عاليا، وصلت إلى السقف...

صاحت ام شادي: الحق يا أبو شادي، ولّعت السقيفة، النّار دبّت فيها، وصاحت: هي يا أهل البلد، هي....الحقونا.... ولعت دارنا...

وما أن وصل النّاس، وبدأوا يطفئون النّار حتى سقط السقف على الحمار فمات.

غضب أبو شادي وانفض النّاس من حوله، قال

- يقطع الشتا ويقطع سنينو، السني إلّي فاتت انكسرت رجلي ، وهذي السنة انحرقت السقيفه، ومات الحمار..أنا شو إمسوي يا ربي؟؟؟.

قالت زوجته: وحّد الله يا زلمي. ولا يهمك يا أبو شادي، لا تزعل ولا توخذ على خاطرك، الحمير املّيات البلد، والله طلّتك على الدار سالم غانم أحسن من مية حمار...